الباب الرابع

في

البذل والتضحية

تمهيد

الدين على التحقيق هو المعاملة، وسبيل المتقين هي الطريق الفاضلة، والسلعة تشرف بالمساوم والمشتري، والمماطل بعد لزوم العقد هو الظالم والمفترى، وَلَيُّ الواجِدِ يُحِلُ عِرضه وعقوبته، ومن حُرم التوفيق فقد عظمت مصيبته، ومما يجب اعتقاده أن الأجل محتوم، وأن الرزق مقسوم، وأن ما أخطأ لا يصيب، وأن سهم المنية لكل أحدٍ مصيب، وأن كل نفسٍ ذائقة الموت، وأن مَا قُدر أزلًا لا يُخشى فيه الفوت، وأن الجنّة تحت ظلال السيوف، وأن الري الأعظم في شرب كؤوس الحتوف، وأن من اغبرت قدماه في سبيل الله حرَّمه الله على النار.

وإذا كان الأمر كذلك فيتعين على كل عاقل التعرض لهذه الرتب، وإن كان نيلها مقسومًا، وصرف عمره في طلبها وإن كان منها محرومًا، والتشمير للجهاد عن ساق الاجتهاد، ودفع سلع النفوس من غير مماطلة لمشتريها، وأن ننْفر في سبيل الله خفافًا وثقالًا، ونتوجه لجهاد أعداء الله ركبانًا ورجالًا، حتى يخرجوا إلى الإسلام من أديانهم، ويعطوا الجزية صَغرة بأيمانهم، أو نستلب نفوسهم من أبدانهم ونجتذب رؤوسهم من تيجانهم، فجموع ذوي الإلحاد مُكَسَّرَةٌ وإن كانت بالتعداد مكثرة، وجيوش أولي العِناد مُدْبرة مُدَمَّرَة، وإن كانت بعقولهم مُقدمة مُدبرة، وعزمات رجال الضلال مؤنثة مصغرة، وإن كانت ذواتهم مذكرة مكبرة[1].

فإن شمس الشريعة الإسلامية لا تشرق إلا على أناس هم أحق بها وأهلها، ونصر الله - ﷻ - لا يتنزل إلا على جنده المخلصين، وعباده الصالحين، فلا يتنزل على الغافلين واللاهين والعابثين، كما لا يتنزل على المتعاطفين مع دين رب العالمين، فهم يشجعون الإسلام ويرشحونه وينتخبونه وإذا طلب منهم البذل في سبيل الله كانوا أول الناكثين والمتخاذلين، وإنما تنزل نصر الله - ﷻ - على أناس وصفهم الله ﷻ في كتابه المبين فقال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ

(١) «مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق» لابن النحاس باختصار (١/ ٦٥-٦٨).

يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المائدة: ٥٤].

يتنزل على أناس وصفهم الله ﷻ بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ [التوبة: ١١١].

نصر الله ﷻ يتنزل على رسله الكرام، والذين آمنوا بدعوة الرسل ونصروا دينهم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر: ٥١].

نصر الله - ﷻ - يتنزل على المؤمنين الذين جمعوا بين الإيمان الصادق والعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ [النور: ٥٥].

نصر الله ﷻ يتنزل على الذين نصروا دينه كما قال تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠].

و قال تعالى: ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧].

ونصر دين الله ليس بالهتافات والشعارات، ولكن بتحليل حلاله، وتحريم حرامه، والذب عنه.

نصر الله - ﷻ - يتنزل على الذين جاهدوا في الله وبذلوا الدماء والمهج لإعزاز دينه ورفع رايته كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

نصر الله ﷻ يتنزل على الصادقين، وقد وصف الله ﷻ الصادقين بقوله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥]، على المؤمنين الصادقين يتنزل نصر الله رب العالمين.

ولاشك في أن الأمة الإسلامية في هذه الأزمنة الغابرة المتأخرة، التي اختلط فيها الحابل بالنابل، وكثرت فيها الفتن، وأسباب المحن والإحن، وحرم المسلمون من التحاكم إلى شريعة ربهم، فحرموا بذلك من أسباب العزة والنصر، وقيادة البشرية، كما حُرموا الحياة الطيبة، حياة الأمن والاطمئنان والأمان، وعاشوا حياة الذل والصغار والاستسلام لأعداء الملك العلام، الغرب الكافر يتحكم في سياستهم، وفي قيادتهم، حتى تجرأ اليهود وأعداء الله - ﷻ - على حرمات المسلمين ومقدساتهم، والمسلمون مشغولون مشغوفون بالدنيا وشهواتها وسفاسفها، لا يستطيعون الإنكار، فضلًا عن أن يَهُبّوا غيرة لدينهم وغضبًا لانتهاك حرماتهم، فخبرني بربك كيف ترتفع راية الإسلام من جديد، وكيف يتنعم المسلمون بالتحاكم إلى الشرع المجيد؟

لاشك في أن الطريق طويل وشاق، وطريق الأنبياء هو تعبيد الناس لرب الأرض والسماء، والله - ﷻ - لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فلسنا ممن يتعجل الصدام المسلح مع الجاهلية الجهلاء، كما أننا لسنا كذلك من الذين يشجعون المسالك السياسية والمهاترات البرلمانية، وهذه تركيا عاصمة الخلافة كيف وصل بها الحال، وقد وصل الحزب الإسلامي إلى رئاسة الوزراء ولكن القوى التي تحرك البلاد وتتحكم في رقاب العباد قوى علمانية كافرة برب البرية، وهذه الجزائر تئن من جراحاتها، فلم ينفعهم كثرة المقاعد في البرلمان، كما لم ينفعهم الصدام المسلح مع السلطان، فلابد من طريق الدعوة إلى الله - ﷻ - والارتفاع بقلوب الناس وعقولهم إلى المستوى الإيماني، وتبيين حقائق الإسلام والدعوة إلى توحيد الملك العلام، ومع ذلك لابد من تربية شباب الصحوة الإسلامية على التشوق للجهاد والرغبة في بذل النفس والمال للوصول إلى رضا رب العباد، ورفع راية الإسلام على البلاد، فشجرة الإسلام شجرة لا تروى بالماء، ولكنها تروى بالدماء، وانظر إلى جيل الصحابة رضي الله عنهم الذين أعز الله بهم دين الإسلام كيف كان بذلهم وجهادهم وصبرهم.

فَمَا العِزُّ للإسلام إلا بظِلِهِم ... وَمَا المجدُ إلا مَا بَنَوه فَشيدوا

وقد تجد في التابعين من هو أكثر صلاة وصيامًا وحجًا من الصحابة رضي الله عنهم، ولكن جيل الصحابة جيلٌ فريد رباه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يفيض على قلوبهم مما أفاض الله - عز وجل - عليه من اليقين والزهد والتوكل والتقوى والمحبة.

كما قال ابن مسعود للتابعين: لأنتم أكثر عملًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنهم كانوا خيرًا منكم، كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة.

فالصحابة رضي الله عنهم سبقوا من بعدهم بالأحوال الشريفة والإيمان المتين، والثقة بنصر الله رب العالمين.

مَـنْ لـيِ بمـثْـلِ سَـيرْكَ المُـدَلَّـلِ ... تَمْـشي رُوَيْـدًا وتَجِـي في الأَوَّلِ

وسوف يقف القارئ الكريم على هذه الحقيقة عند ذكر المواقف الإيمانية في البذل والتضحية، فجُل الأمثلة التي وقفنا عليها من هذا الجيل الفاضل الكريم، الذين رضي الله عنهم وأرضاهم، وسبقت لهم من الله الحسنى وألزمهم كلمة التقوى، فهم أئمة في البذل، وأساتذة في التضحية، وأمثلة حية للأمة، كلما نظر المسلمون على مر العصور وكر الدهور في سيرتهم وجهدهم وبذلهم وشحذ هممهم في البذل والتضحية.

فإلى الجيل الناشئ جيل الصحوة المباركة أمل الأمة في الوصول إلى عزتها وكرامتها، وسالف رفعتها، نسوق هذه الأمثلة المباركة للبذل والتضحية.

هل وُجِدَ بعد الصحابة رضي الله عنهم مثل الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو طلحة بن عبيد الله، وأبي عبيدة بن الجراح؟ هل ولدت النساء مثل سيف الله المسلول خالد بن الوليد؟ هل ظهر في الأمة مصعب بن عمير؟ هل تشرفت البشرية من جديد بأمثال حمزة بن عبد المطلب، أو جعفر بن أبي طالب، أو عبد الله بن رواحة، إن الواحد من هؤلاء الشرفاء الكرماء لو وضع في كفة ميزان ووضع في الكفة الأخرى شعب بأكمله لرجح بهم، إنهم الذين كسروا كِسرى، وقَصُّوا قيصر، ودانت لهم الممالك، وخضعت لهم البلاد ودان بدينهم العباد، وكانوا مفاتيح فتح ونصر وعز

كما أشار إلى ذلك قوله ﷺ: «**يأتي على الناس زمان يغزو فيه فئامٌ من الناس فيقولون: هل فيكم من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم**»[1].

ألستم معي عباد الله! في أن أصحاب رسول الله ﷺ أسباب فتح ونصر وعز ومنعة؟ إنهم القطفة الأولى، والثمار المباركة من خير أمة أخرجت للناس.

سُئِل أحد الأفاضل: هل يمكن أن يأتي جيل مثل الصحابة رضي الله عنهم؟ فقال: لا، فقيل له: لماذا؟ فقال: لأنهم يلزمهم أن يصحبوا شيخًا مثل رسول الله ﷺ!!

ولو لم يرد في فضل الصحابة رضي الله عنهم آيات يطول ذكرها، وأحاديث شهيرة يكثر تعدادها، لأوجب الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد، ونصرة الإسلام، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأبناء، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين القطع على تعديلهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم كافة أفضل من جميع الخالفين بعدهم، هذا مذهب كافة العلماء، ومن يُعتمد قوله.

عن أبي زرعة الرازي قال: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ وآله فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول حقٌ والقرآن حقٌ، وما جاء به حقٌ، وإنما أَدَّى إلينا ذلك كله الصحابة وهم يريدون أن يجرحوا شهودنا، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة[2].

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٣) فضائل الصحابة، ومسلم (١٦/ ٨٣-٨٤) فضائل الصحابة، وأحمد (٣/ ٧)، والفئام: الجماعة من الناس.

(٢) باختصار من «الإصابة في معرفة الصحابة» لابن حجر العسقلاني (٦، ٧).

(أ) معنى الجهاد

المعنى اللغوي:

قال في مختار الصِّحَاح: الجُهْدُ: الطاقة، وقرئ بها في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة:٧٩]، والجُهدُ المشقة، يقال: جَهَدَ دابته وأجهدها: إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها، وجَهَدَ الرجل في كذا إذا جد فيه وبالغ(١).

المعنى الشرعي:

إذا أُطلق الجهاد فالمراد به: قتال الكفار لإعلاء كلمة الله تعالى، ولا ينصرف إلى غير قتال الكفار إلا بقرينة تدل على المراد.

يقول ابن رشد: وجهاد السيف قتال المشركين على الدين، فكل من أتعب نفسه في ذات الله فقد جاهد في سبيله، إلا أن الجهاد في سبيل الله إذا أطلق فلا يقع بإطلاقه على مجاهدة الكفار بالسيف، حتى يدخلوا في الإسلام، أو يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون(٢).

والأحاديث التي تدل على فضائل الجهاد المراد بها جهاد الكفار لإعلاء كلمة الله ﷻ، وما يزعمه الصوفية من أن جهاد الكفار هو الجهاد الأصغر، وجهاد النفس والهوى هو الجهاد الأكبر لا دليل عليه، وما ينسبونه إلى النبي ﷺ من قوله: «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**»(٣). فالعلماء على ضعفه، ثم هو منكر المتن لمخالفته للأحاديث الكثيرة المصرحة بأن الجهاد أفضل الأعمال بعد الإيمان، وأن ثواب المجاهد، أفضل من ثواب الصائم القائم.

---

(١) «مختار الصحاح» [١١٤].

(٢) «أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية» لعلي بن نفيع العلياني [١١٧] دار طيبة.

(٣) وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٤/ ١١٨).

(ب) أنواع الجهاد وأحكامه

الجهاد نوعان:

النوع الأول: جهاد الطَّلب والابتداء؛ وهو تطلب الكفار في عقر دارهم ودعوتهم إلى الإسلام وقتالهم إذا لم يقبلوا الخضوع لحكم الإسلام:

وذهب جمهور العلماء إلى أن هذا النوع من الجهاد فرضُ كِفَاية، إذا قام به جماعة من المؤمنين فيهم غناء لنشر الإسلام والدعوة إليه سقط الحرج عن الباقين، وأدلة الجمهور قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وقوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث إلى بني لِحيان: ليخرج من كل رجلين رجل، ثم قال للقاعد: «**أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل أجر الخارج**»(١).

وقال ﷺ: «**فمن جهز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا**»(٢).

ويكون غزو الكفار فَرْضُ عَينٍ في ظروف ذكرها العلماء، منها ما يلي:

١- إذا عَيَّن إمامُ المسلمين شخصًا بعينه للجهاد.

٢- إذا كان النّفير عامًا؛ كأن يستنفر الإمام أهل قريةٍ أو ناحيةٍ.

٣- إذا كان للمسلمين أسرى عند الكفار حتى يُستنقذوا من أيديهم.

---

(١) «صحيح مسلم» (١٣/ ٤١).

(٢) «صحيح مسلم» (١٣/ ٤٠).

٤- إذا حضر المسلم جيش المسلمين في حال قتال مع الأعداء فإنه يجب عليه الجهاد[١].

النوع الثاني من أنواع الجهاد: جهاد الدفاع، وحكمه فرض عين على المسلمين عمومًا، حتى يندفع شر الأعداء، وهذا بإجماع علماء الإسلام.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا تعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار، أو بحلوله بالعقر، فإذا كان ذلك وجب على جميع أهل تلك الديار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافًا وثقالًا، شبابًا وشيوخًا، كُلٌّ على قدر طاقته، من كان له أب بغير إذنه، ومن لا أب له، ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج، من مُقِلٍّ أو مُكثرٍ، فإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة، حتى يعلموا أن فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم، وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم، وعلم أنه يدركهم، ويمكنه غياثهم لزمه أيضًا الخروج إليهم، فالمسلمون كلهم يد على من سواهم، حتى إذا قام بدفع العدو أهل الناحية التي نزل العدو عليها، واحتل بها، سقط الفرض عن الآخرين، ولو قارب العدو دار الإسلام ولم يدخلوها لزمهم أيضًا الخروج إليه حتى يظهر دين الله، وتحمى البيضة، وتحفظ الحوزة، ويخزى العدو، ولا خلاف في هذا»[٢].

وقال الشيخ حسن البنا رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد أجمع أهل العلم، مجتهدين ومقلدين، سلفيين وخلفيين على أن الجهاد فرض كفاية على الأمة الإسلامية لنشر الدعوة، وفرض عين لدفع هجوم الكفار عليها، والمسلمون الآن كما تعلم مستذلون لغيرهم، محكومون بالكفار، قد ديست أرضهم، وانتهكت حرماتهم، وتحكم في شئونهم خصومهم، وتعطلت شعائر دينهم في ديارهم فضلًا عن نشر دعوتهم، فوجب وجوبًا عينيًا لا مناص منه أن يتجهز كل مسلم، وأن ينطوي على نية الجهاد وإعداد العدة له، حتى تحين الفرصة، ويقضي الله

(١) انظر: «أهمية الجهاد في نشر الدعوة» (١٢٤-١٣٣).
(٢) «تفسير القرطبي» (٨/ ١٥١).

أمرًا كان مفعولًا، إن الأمة التي تحسن صناعة الموت، وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة، يهب لها الله الحياة العزيزة في الدنيا، والنعيم الخالد في الآخرة، وما الوهن الذي أذلَّنا إلا حب الدنيا وكراهية الموت[1].

(جـ) فضائل الجهاد والاستشهاد في سبيل الله ﷻ

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٩٥-٩٦].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٧٤]

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢٠-٢٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الصف: ١٠-١٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ

(١) نقلًا عن «البحر الرائق في الزهد والرقائق» (١٧٧، ١٧٨).

﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١].

و قال تعالى: ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٧٤].

و قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ [محمد: ٤-٦].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله! أيُّ الناس أفضل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله**»، قالوا: ثم من؟ قال: «**مؤمن في شعب من الشِّعاب يتقي الله ويدع الناس من شره**»(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: دُلني على عملٍ يعدل الجهاد، قال: لا أجده، قال: «**تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر**» قال: ومن يستطيع ذلك؟!

قال أبو هريرة: إن فرس المجاهد ليْستَنَّ في طِوَلِهِ فيكتب له حسنات(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم، وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالمًا بأجرٍ أو غنيمة»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٦) الجهاد، ومسلم (١٣/ ٣٣، ٣٤) الإمارة.

(٢) رواه البخاري (٦/ ١٣) الجهاد، ومسلم (١٣/ ٢٧) الإمارة.

(٣) رواه البخاري (٦/ ٤) الجهاد، ومسلم (١٣/ ٢٤، ٢٥) الإمارة.

(٤) رواه البخاري (٦/ ٦) الجهاد، ومسلم بمعناه أطول منه (١٣/ ٢٠) الإمارة، ومالك في الموطأ (١/ ٤٤٣، ٤٤٤)، والنسائي (٦/ ٢٠).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذُلًا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات ولم يغز ولم يُحدث به نفسه، مات على شعبة من النفاق**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئِل رسول الله ﷺ: أَيُّ الأعمال أفضل؟ قال: «**إيمان بالله ورسوله**»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**حَجٌ مبرور**»(٣).

وعن أبي قتادة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قام فيهم فذكر أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال، قال: فقام رجل فقال: يا رسول الله، أرأيت إن قُتلت في سبيل الله أتكفَّر عني خطاياي كلها؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**كيف قلت؟**» قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم، وأنت صابر محتسب، مُقبل غير مدبر، إلا الدَّين فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك**»(٤).

وقال ﷺ: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض**»(٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنْ أَغْزُوَ فِي سَبِيلِ الله فَأُقْتَلَ ثُمَّ أَغْزُوَ فَأُقْتَلَ ثُمَّ أَغْزُوَ فَأُقْتَلَ**»(٦).

(١) رواه أبو داود [٣٤٤٥] البيوع، وصححه الألباني بطرقه في «الصحيحة» رقم [١١].
(٢) رواه مسلم (١٣/ ٥٦) الإمارة، وأبو داود [٢٤٨٥ عون] الجهاد، والنسائي (٦/ ٨) الجهاد.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) رواه مسلم [١٨٨٥] الإمارة.
(٥) رواه البخاري (٦/ ١٤) الجهاد والسير مطولًا.
(٦) رواه البخاري (٦/ ١٦) الجهاد، ومسلم (١٣/ ٢٠) الإمارة.

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ما من أحدٍ يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وأن له ما على الأرض من شيء إلا الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة**»(١).

وعن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلًا قال: يا رسول الله، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: «**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**»(٢).

وعن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**للشهيد عند الله ست خصال، يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويشفع في سبعين إنسانًا من أقاربه**»(٣).

وقال صلى الله عليه وسلم: «**مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ الله، إلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَلْمُهُ يَدْمَى، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ**»(٤).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن أرواح الشهداء فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أي شيء نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لم يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب! نريد أن تُرَّد إلينا أرواحنا فى أجسادنا حتى نرجع إلى الدنيا فنقتل فى سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا**»(٥).

(١) رواه البخاري (٦/ ٣٢) الجهاد، ومسلم (١٣/ ٢٤) الإمارة، والترمذي (٧/ ١٦١ عارضة).
(٢) رواه النسائي (٤/ ٩٩) الجنائز، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» صـ[٣٦].
(٣) رواه الترمذي (٧/ ١٦١ عارضة) فضائل الجهاد، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وابن ماجه [٢٧٩٩]، وأحمد (٤/ ١٣١)، وصححه الألباني.
(٤) رواه البخاري (٦/ ٢٤) الجهاد والسير، والكلم هو: الجرح.
(٥) رواه مسلم رقم [١٨٨٧] الجهاد والسير، والترمذي [١٦٤١] فضل الجهاد مختصرًا، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(د) غايات الجهاد وأهدافه

الجهاد هو ذروة سنام الإسلام، وأفضل الأعمال بعد الإيمان بالله ﷻ، والجهاد تعريض النفس للتلف، أو الجراحة العظيمة، وقد قال الله ﷻ: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦]، فلابد من أهداف عظيمة وغايات سامية شرع الله - ﷻ - من أجلها هذه العبادة.

فما أهداف الجهاد وغاياته؟

١ - الهدف الأول هو تعبيد الناس لله ﷻ، فالناس يقعون في عبادة الحجر، والبقر، والشمس، والقمر، والطواغيت التي تحكم الناس بغير شرع الله، وتسوسهم بغير حكمه.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وقال رسول الله ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»(١).

وقال ﷺ: «**بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ، حَتَّى يُعْبَدَ الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجَعَلَ الذِّلَّةَ وَالصَّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي**»(٢).

قال العلياني: «وهذا الهدف السامي المتضمن لإعلاء كلمة الله -وهي الإسلام-، وإقامة سلطان الله في الأرض، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وإخلاء العالم من

(١) رواه مسلم (١٣/ ٧٤) كتاب الإمارة.

(٢) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٤٩) وقال: رواه أحمد، وفيه عبد الرحمن بن ثابت، والحديث رواه أحمد (٢/ ٥٠، ٩٢) وقال الألباني في الإرواء: هذا إسناد حسن رجاله ثقات غير ابن ثوبان هذا ففيه خلاف، وقال الحافظ في التقريب: صدوق يخطئ وتغير بآخره، إرواء الغليل رقم [١٢٦٩].

الفساد الأكبر الذي هو الشرك وما ينتج عنه، وإزالة الطواغيت الذين يحولون بين الناس وبين الإسلام ويعبدونهم لغير الله»[١].

٢- رد اعتداء المعتدين، كما قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠].

و قال تعالى: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٣].

٣- قتل الكافرين وإضعاف شوكتهم، كما قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٧].

و قال تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ ﴾ [محمد: ٤]

٤- إرهاب الكافرين وإذلالهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، كما قال تعالى: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩].

٥- شفاء صدور المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٤].

٦- تمييز المؤمنين وكشف المنافقين، كما قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

٧- تمحيص المؤمنين وتكفير ذنوبهم، كما قال تعالى: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤١].

---

(١) «أهمية الجهاد» [١٦٢].

٨- تربية المؤمنين على الصبر والثبات، وتعظيم أمر الله - ﷻ - وأمر رسوله ﷺ، بتحمل المشاق لإقامة شرع الله وإبلاغ دينه.

٩- حصول الغنائم والسبي، وقد قال النبي ﷺ: «وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي»(١).

١٠- اصطفاء الشهداء، فالله - ﷻ - كما يختار من يشرفه بالنبوة والرسالة، وهو - ﷻ - يخلق ما يشاء ويختار؛ فهو - ﷻ - كذلك يصطفي من يشرفه بالشهادة، وهو أعلم بمواقع فضله وعدله، نسأل الله - ﷻ - شهادة في سبيله مقبلين غير مدبرين، قال تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

(هـ) مواقف إيمانية في البذل والتضحية

المواقف الإيمانية لحظات صدق وإخلاص وثبات على دين الله، وإعزاز لراية الله، إنها لحظات غالية سامية عزيزة، ببركة هذه اللحظات تفتح حصون، وتسقط مدائن، وتهزم جيوش الكفر المتكاثرة، ويتنزل نصر الله - ﷻ - على النفوس المؤمنة، هذه المواقف الإيمانية يحبها الله ﷻ، ويحب أهلها، والموفقين إليها، إنها تشهد للمؤمنين بقوة الإيمان ومحبة الرحمن.

والموفَّق إلى هذه اللحظات الكريمة الشريفة قليل ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] ولكن ببركة هذا القليل ينتصر حزب الله، وترفع رايته.

وسوف تقف في هذا الفصل الكريم على شرف الصحابة رضي الله عنهم وفضلهم، فهم أولى الأولياء بمواقف الشرفاء بعد الأنبياء، وهذا شاهد قوي على قوة يقينهم، وعظيم صبرهم، وبركة جهادهم، فطوبى لمن أحبهم وسار على دربهم، وياويل من أبغضهم أو أبغض بعضهم، فإن هذا من علامات الخذلان، وشواهد الخُسران.

والإسلام يعلمنا ألا نعز شيئًا على الله - ﷻ - فلا نبخل بشيء نبذله لله ﷻ، فمحبة المؤمنين لله - ﷻ - تملأ قلوبهم وتحرك جوارحهم، تتضاءل أمام هذه المحبة محبة الآباء

(١) تقدم تخريجه.

والأبناء والزوجات والأموال، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

وقال النبي ﷺ: «**لَا يُؤْمِن أَحدكُمْ حَتَّى أَكُون أَحبّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِده وَوَلَده وَالنَّاس أَجْمَعِينَ**»(١).

مع أن محبة الرسول ﷺ من لوازم محبة الله ﷻ، ولا يحب أحد لذاته إلا الله - ﷻ - فهذه المعاني الإيمانية كيف تستقر في القلوب وتعيها النفوس إذا لم ير المؤمنون أمامهم أمثلة حية تترجم هذه المحبة إلى واقع عملي، ومواقف إيمانية يظهر فيها شرف الإيمان ومحبة الرحمن ﷻ، وإيثار أمره وشرعه على طبائع النفوس البشرية، ومن أولى بهذه المواقف الشريفة من الأنبياء الكرام، وأصحاب النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

١- موقف إبراهيم عليه السلام عندما همّ بذبح ولده:

رأى إبراهيم عليه السلام - ورؤيا الأنبياء وحي - أنه يؤمر بذبح ولده، فبادر إبراهيم عليه السلام وهمَّ بذبح الولد تعظيمًا لأمر الله ﷻ، وتقديمًا لمحبته على محبة الولد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢].

العبد قد يبذل نفسه لله ﷻ، ويعلم أنها لحظات، ثم تخرج روحه إلى رحمة الله - ﷻ - وكرامته، والشهيد لا يذوق من مس القتل إلا كما يذوق من مس القرصة، أما أن يمسك سكينًا بيده، ويطرح ولده على وجهه، ويمر السكين على رقبته، وتسيل دماء الولد على يده وثيابه!!

---

(١) تقدم تخريجه.

لله هذه النفوس التي تبتلى بمثل هذا البلاء، الله أعلم حيث يجعل رسالته، وإن تعجب من هذا الموقف الإيماني من الشيخ الذي شاب في التوحيد ومحبة الرب العزيز الحميد فاعجب من الغلام الذي يقول لأبيه وهو يعرض عليه أن يذبحه بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾، فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، ما قال: ما ذنبي؟ وهل تطاوعك نفسك أن تذبحني بيدك؟ أو ما جوابك لأمي؟ إنه غلام حليم، كما وصفه الله ﷻ، وكان صادقًا في كلامه وفي وعده لأبيه كما وصفه الله - ﷻ - بقوله: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤].

إنها ذرية مباركة طيبة تتوارث النبوة، والشرف والسيادة، إن الله - ﷻ - رفعها بالإيمان واليقين، فَمَن أولى بالمواقف الإيمانية من إبراهيم وذريته، وهذه المواقف الإيمانية التي يحبها الله - ﷻ - هي مراد الله - ﷻ - من العباد، ومطلوبه منهم، إن الله - ﷻ - لا يستفيد شيئًا من طاعات العباد، ولا يتضرر بشيءٍ من معاصيهم: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧].

فلما استسلم الأب لتنفيذ أمر الله، واستسلم الولد للذبح، فَدَى الله - ﷻ - الولد بذبح عظيم، وارتفعت راية من رايات الإيمان، وعلا منار من منارات العقيدة، وضرب إبراهيم عليه السلام وولده إسماعيل أروع الأمثلة في البذل والتضحية، وتعظيم أمر الله وتقديم محبته، فصلَّى الله وسلَّم وبارك على الأنبياء الكرام، والتابعين لهديهم من المؤمنين الصادقين، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

٢- موقف عبد الله بن جحش رضي الله عنه:

وعبد الله بن جحش رضي الله عنه من السابقين الأولين من المهاجرين الكرام، أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، وكان أميرًا على سرية أرسلها رسول الله ﷺ إلى نخلة وهي مكان بين مكة والطائف، وأعطاه النبي ﷺ كتابًا وأمره ألا ينظر فيه حتى يبلغ «نخلة»[(١)].

(١) نخلة: مكان بين مكة والطائف.

فلما نظر في الكتاب قال: سمعًا وطاعةً، ثم مرت بهم عير لقريش فيها عمرو بن الحضرمي، وكانوا في آخر يوم من رجب، فتشاور المسلمون وقالوا: إن نحن قتلناهم هتكنا حرمة الشهر الحرام، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم، ثم اتفقوا على لقائهم فقتلوا عمرو بن الحضرمي، وأسروا عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان، فقال عبد الله بن جحش: اعزلوا مما غنمنا الخُمس لرسول الله ﷺ، ثم نزل القرآن بعد ذلك بمثل اجتهاد عبد الله بن جحش، فنزل قوله ﷻ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١]، وعُيّر عبد الله بن جحش رضي الله عنه بقتاله في الشهر الحرام، فأقر الله ﷻ فعله واجتهاده، ونزل قوله ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ...﴾ الآية [البقرة: ٢١٧].

وليس هذا هو الموقف الإيماني الذي نريد إلقاء الضوء عليه، وإنما هذه مقدمة يعرف بها أن المواقف الإيمانية لها أهلها الذين يوفقون إليها، فليس كل أحدٍ يوفق لهذه المواقف التي ترفع راية الإيمان، وتُعِزُّ دين الرحمن.

عن سعيد بن المسيب أن رجلًا سمع عبد الله بن جحش يقول قبل يوم أحدٍ بيوم: اللهم إنَّا لاقوا هؤلاء غدًا، وإنّي أقسم عليك لما يقتلوني ويبقروا بطني، ويجدعوني، فإذا قلت لي: لَمَ فُعِل بك هذا؟ فأقول: اللهم فِيْك، فلما التقوا فُعِلَ ذلك به، فقال الرجل الذي سمعه: أمَّا هذا فقد استجيب له، وأعطاه الله ما سأل في جسده في الدنيا، وأنا أرجو أن يُعْطي ما سأل في الآخرة.

وعن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص قال: حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد: ألا ندعو الله؟ فخلوا في ناحية، فدعا عبد الله بن جحش فقال: يا رب !إذا لقيتُ العدو غدًا فلّقني رجلًا شديدًا بأسه شديدًا حرده، أقاتله فيك، ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غدًا قلت: يا عبد الله! من جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول: صدقت.

قال سعد: فقد لقيته آخر النهار، وإن أذنه وأنفه لمعلقتان في خيط[١].

٣- أنس بن النضر رضي الله عنه:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: غاب عَمّي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله! غبت عن أول قتالٍ قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحدٍ وانكشف المسلمون قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين-.

ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ! الجَنّة وربّ النضر إني لأجد ريحها من دون أحدٍ، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع.

قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة بالرمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحدٌ إلا أخته ببنانه[٢].

قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أمثاله: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

فالمواقف الشريفة الفاضلة يوفق لها الشرفاء الفضلاء، فقد جاء في الصحيح عن أنس بن مالك أن الربيع بنت النضر عمته لطمت جارية فكسرت سنها فعرضوا عليهم الأرش - أي: الدية - فأبوا، فطلبوا العفو فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأمرهم بالقصاص، فجاء أخوها أنس بن النضر فقال: يا رسول الله! أتكسر سِنَّة الربيع - أي أخته - والذي بعثك بالحق لا تكسر سنها، قال: «**يا أنس! كتاب الله القصاص**»، فعفا القوم.

---

(١) «صفة الصفوة» (١/ ٣٨٥، ٣٨٦)، وأثر سعيد بن المسيب رواه الحاكم (٣/ ١٩٩-٢٠٠) معرفة الصحابة، وقال: صحيح على شرط الشيخين لولا إرسال فيه، ووافقه الذهبي.
وقال الألباني: لكن له شاهد موصول، وأخرجه البغوي كما في الإصابة من طريق إسحاق بن سعد وهو المذكور هنا، والله أعلم.

(٢) رواه البخاري (٧/ ٣٥٤، ٣٥٥) المغازي، ومسلم (١٣/ ٤٧، ٤٨) الإمارة، والترمذي (١٢/ ٨٠، ٨١ عارضة) التفسير.

فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ**»(١).

فالمؤمن صادق مع الله ﷻ يحب مراد الله، ويؤثر محبوبه، والله - ﷻ - يحب للمؤمن ما يحبه المؤمن لنفسه كما ورد في الحديث القدسي: «**وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِيْ عَنْ نَفْسِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**»(٢).

وقد روي كذلك أن أنس بن النضر مر يوم أحدٍ على جماعة فيهم عمر رضي الله عنه فقال: ما يقعدكم؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ، قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه، ثم جالد بسيفه حتى قتل رضي الله عنه(٣).

فهذه شواهد قوية على أن الذين يوفقون للمواقف الإيمانية الشريفة هم أكابر المؤمنين وأشرافهم، نسأل الله التوفيق والسداد.

٤- عاصم بن ثابت رضي الله عنه ويوم الرجيع:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أرسل رسول الله ﷺ سرية عينًا وأمّر عليهم عاصم بن ثابت - وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب - فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عُسْفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم: بنو لِحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلًا نزلوه، فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يثرب، فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم، فلما انتهى عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدفد - أي: مكان مرتفع - وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ألا نقتل منكم رجلًا.

فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك، فقاتلوهم حتى قتلوا عاصمًا في سبعة نفرٍ بالنبل... وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٣٦٠) الصلح.

(٢) رواه البخاري (١١/ ٣٤٨، ٣٤٩) الرقاق، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٤).

(٣) «صفة الصفوة» (١/ ٦٢٣).

يعرفونه، وكان عاصم قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدر، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شيء[١].

وفي رواية ابن إسحاق عن عاصم بن عمر عن قتادة قال: كان عاصم بن ثابت أعطى الله عهدًا ألا يمسه مشرك ولا يمسُّ مشركًا أبدًا، فكان عمر يقول لما بلغه خبره: يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في حياته.

فكان يجوز لعاصم رضي الله عنه أن يقبل الأمان، ولكن قوة إيمانه وعزته على الكافرين أبت ذلك، فقاتل حتى قُتل رضي الله عنه، ولكرامته على الله - عز وجل - منع الكافرين من الوصول إلى جسده، فوفّى هو مع الله - عز وجل - فلم يقبل أمان المشركين، وأن يجرى عليه حكم الكافرين، وأن يمسه المشركون، ووفى الله - عز وجل - ببقية عهده، فمنعهم من الوصول إليه بعد قتله، فإن قال قائل: لماذا لم يمنعهم الله - عز وجل - من قتله؟ فالجواب: لما يريده الله عز وجل له من الكرامة، ودرجة الشهادة، والله تعالى يحب أن يرى عباده المؤمنين وهم يبذلون نفوسهم لله عز وجل، فيبوئهم منازل الكرامة، ويزيدهم من فضله، نسأل الله من فضله شهادة في سبيله مقبلين غير مدبرين.

٥- عُمَير بن الحُمَام رضي الله عنه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**قوموا إلى جنةٍ عرضها السموات والأرض**»، قال عمير بن الحمام: بَخٍ بَخٍ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما يحملك على قولك بَخٍ بخٍ؟**» قال: لا والله يا رسول الله! إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «**فإنك من أهلها**» قال: فأخرج تمراتٍ من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي إنها لحياة طويلة، فرمى ما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل[٢].

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٤٣٧-٤٣٨) المغازي، وأحمد (٢/ ٣١٠).

(٢) رواه مسلم (١٣/ ٦٨-٦٩) الإمارة.

قال النووي: فيه جواز الانغمار في الكفار، والتعرض للشهادة، وهو جائز بلا كراهة عند جماهير العلماء[١].

وفيه قوة يقين الصحابة، وصدقهم، وتصديقهم لرسول الله ﷺ، ولا يمكن للمسلم أن يبذل الدنيا إلا وهو مؤمن تمام اليقين بالآخرة، فإن حب الخطير هو الذي يمحو عن القلب حب الحقير، وإنما كثرت قصص البذل والتضحية والفداء عند الصحابة الكرام لقوة يقينهم، وكمال إيمانهم وزهدهم، ولم تتشرف البشرية بجيل بعدهم ظهرت فيه هذه الآيات البينات والبراهين الساطعات على اليقين والزهد والصدق، فرضي الله عنهم أجمعين وجمعنا بهم في عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

٦- رجل حضره أبو موسى الأشعري رضي الله عنه:

عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه - يعني أبا موسى الأشعري - قال: سمعت أبي وهو بحضرة العدو يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف**»، فقام رجل رثُّ الهيئة فقال: يا أبا موسى! آنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم، قال: فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام، ثم كسر جفن سيفه فألقاه، ثم مشي بسيفه إلى العدو، فضرب به حتى قتل[٢].

قوله: «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف» قال النووي: قال العلماء: معناه أن الجهاد وحضور معركة القتال طريق إلى الجنة وسبب دخولها.

المواقف الإيمانية لحظات يصدق فيها المؤمن مع ربه ﷻ، ويصدق مع نفسه، هذه اللحظات يرتفع بها المؤمن؛ لأنه يرفع راية الله، فهذا الرجل لم نقف على اسمه ولا يضيره ذلك؛ لأنه معروف عند الله ﷻ بموقفه الإيماني وصدق إيمانه، كما لم نعرف اسم مؤمن آل فرعون ومؤمن آل يس، ولكن المواقف الإيمانية الصادقة مدونة عند الله - ﷻ - يرفع بها أصحابها في الدنيا والآخرة، والله تعالى يختص برحمته وفضله من يشاء.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٣/ ٦٩).

(٢) رواه مسلم (١٣/ ٦٩، ٧٠) الإمارة.

٧- عامر بن الأكوع رضي الله عنه:

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه - فذكر حديثًا طويلًا وذكر فيه رجوعهم من غزوة بني فزارة - قال: فلم نمكث إلا ثلاثًا حتى خرجنا إلى خيبر، قال: وخرج عامر رضي الله عنه فجعل يقول:

والله لَوْلاَ أَنتَ ما اهْتدينا ولا تَصَدَّقْنَا ولا صَلّيْنا

ونَحنُ من فَضلِكَ ما فَأنزِلنْ سكينة علينا

وثبت الأقدام إن لاقينا

قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من هذا القائل؟**» فقالوا: عامر، فقال: «**غفر لك ربك**»، قال: وما خص رسول الله صلى الله عليه وسلم قط أحدًا به إلا استشهد، فقال عمر رضي الله عنه - وهو على جمل -: لولا متعتنا بعامر، قال: قدمنا خيبر فخرج مرحب وهو يخطر بسيفه ويقول:

قَدْ عَلِمت خَيبر أنّي مَرحب شاكي السّلاح بَطَلٌ مجرّبُ

إذا الحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبْ عَلينَا الحِسَاب

قال: فبرز له عامر وهو يقول:

قَدْ عَلِمت خَيْبرُ أنَي عامِرُ شاكي السّلاح بَطَلُ مغامرُ

قال: فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر رضي الله عنه، فذهب يسعل له، فرجع عن نفسه فقطع أكحله، فكانت فيها نفسه.

قال سلمة رضي الله عنه: فخرجت فإذا نفرٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون: بطل عمل عامر قتل نفسه، قال: فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي، فقال: «**مالك؟**» فقلت: قالوا: إن عامرًا بطل عمله، فقال: «**من قال ذلك؟**» فقلت: نفرٌ من أصحابك، فقال: «**كَذَبَ أولئك، بل له الأجر مرتين**»[١].

(١) رواه البخاري (٧/ ٤٦٣-٤٦٤) المغازي.

٨- معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء رضي الله عنهما وقتل أبي جهل يوم بدر:

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: إنّي لواقف يوم بدر في الصف فنظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما تمنيتُ أن أكون بين أضْلع منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عَمَّاهُ أتعرف أبا جهل؟ فقلت: نعم، وما حاجتك إليه؟ قال: أُخبرت أنه يَسُبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي نفسي بيده! لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منها، فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر فقال لي أيضًا مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل وهو يجول في الناس، فقلت: ألا تريان، هذا صاحبكم الذي تسألاني عنه؟ فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، قال كل منهما: أنا قتلته، قال: «**هل مسحتما سيفيكما؟**» قالا: لا، قال: فنظر النبي صلى الله عليه وسلم في السيفين فقال: «**كلاهما قتله**»، وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح والآخر معاذ بن عفراء[(١)].

هذا موقف من المواقف الإيمانية لشابين من الأنصار، والأنصار مدحهم الله - عز وجل - بالإيمان، فقال عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [الحشر: ٩]، انقضَّا رضي الله عنهما على قائد كتيبة الكفر يوم الفرقان؛ كأنهما صقران، وقد حَزَّ في نفس أبي جهل أن يقتله شباب من الأنصار، واعتبر ذلك إهانة له، ففي الصحيح عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من ينظر لنا ما فعل أبو جهل؟**» فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد، فأخذ بلحيته فقال: أنت أبو جهل.

فقال: وهل فوق رجلٍ قتلتموه، أو قال: قتله قومه.

قال: وقال أبو مجلزٍ: فلو غير أكّار قتلني[(٢)].

قال النووي: قوله: «لو غير أَكَّارٍ قتلني» الأكار: الزراع والفلاح، وهو عند العرب ناقص، وأشار أبو جهل إلى ابني عفراء اللذين قتلاه، وهما من الأنصار، وهما أصحاب

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٣٥٨) المغازي، ومسلم [١٧٥٢] الجهاد والسير.

(٢) رواه البخاري (٧/ ٣٤٢) المغازي، ومسلم (١٢/ ١٦٠) الجهاد والسير.

زرع ونخيل، ومعناه لو كان الذي قتلني غير أكار لكان أحب إلي وأعظم لشأني، ولم يكن عليَّ نقص في ذلك[١].

٩- جعفر بن أبي طالب وغزوة مؤتة:

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد عن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال: الذي أرضعني - وكان أحد بني مرة بن عوف - وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة قال: والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء، ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابُها ... طيبَةً وباردًا شرابُها

والروم رُومٌ دنا عذابها ... كافِرةً بَعِيدةً أنسابُهَا

عَلَيّ إنْ لاقيتُهَا ضِرابُها

وقال ابن هشام وحدثني من أثق به من أهل العلم أن جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فآتاه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء، ويقال: إن رجلًا من الروم ضربه يومئذٍ ضربة فقطعه نصفين[٢].

وعن نافع أن ابن عمر أخبره أنه وقف على جعفر يومئذٍ وهو قتيل، قال: فعددتُ به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره - يعني ظهره -[٣].

قال عبد الله: «كنت فيهم في تلك الغزوة، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب، فوجدناه في القتلى، ووجدنا ما في جسده بضعًا وتسعين من طعنة ورمية»[٤].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ١٠٠).
(٢) «سيرة ابن هشام مع الروض الأنف» (٤/ ٧٢).
(٣) رواه البخاري (٧/ ٥٨٣) المغازي.
(٤) رواه البخاري (٧/ ٥٨٣) المغازي.

قال الحافظ: وظاهرهما التخالف، ويجمع بأن العدد قد لا يكون له مفهوم، أو بأن الزيادة باعتبار ما رمي فيه من السهام، فإن ذلك لم يذكر في الرواية الأولى، أو الخمسين مقيدة بكونها ليس فيها شيء في دبره، أي: في ظهره، فقد يكون الباقي في بقية جسده، ولا يستلزم ذلك أنه ولى دبره، وهو محمول على أن الرمي إنما جاء من جهة قفاه، أو جانبيه، ولكن يؤيد الأول أن في رواية العمري عن نافع: فوجدنا ذلك فيما أقبل من جسده بعد أن ذكر العدد بضعٌ وتسعون[١].

وعن عامر قال: كان ابن عمر إذا حَيّا ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين[٢].

١٠- عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وغزوة مؤتة:

قال ابن إسحاق: كما حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حَدَّث عن زيد بن أرقم قال: كنت يتيمًا لعبد الله بن رواحة في حجره فخرج في سفرته تلك مردفي على حقيبة راحلته، والله إنا لنسير ليلة إذ سمعته يتمثل بيته هذا.

إِذَا أَدَّيْتَنِي وَحَمَلْتَ رَحْلِي ... مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الحَسَاءِ

فلما سمعته منه بكيت فخفقني بالدرة وقال: ما عليك يا لكع أن يرزقني الله الشهادةوترجع من شعبتي الرحل...[٣] ولما نزل المسلمون بمعان من أرض الشام بلغهم أن هرقل في ماب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وقد اجتمعت إليهم المستعربة من لخم وجذام وبلقين وبهرام وبلى في مائة ألف، قاموا بمعان ليلتين ينظرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا فإمَّا أن يمدنا وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له، فشجع عبد الله بن رواحة الناس وقال: يا قوم! والله إن الذي تكرهون للذي خرجتم له تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، إنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظهور، وإما شهادة.

(١) «فتح الباري» (٧/ ٥٨٥).

(٢) رواه البخاري (٧/ ٥٨٨) المغازي.

(٣) قال الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله ثقات إلى عروة، «مجمع الزوائد» (٦/ ١٥٧، ١٥٩).

وعن عباد بن عبد الله بن الزبير قال: حدثني أبي الذي أرضعني وكان أحد بني مُرَّة ابن عوف، وكان في تلك الغزاة غزوة مؤتة قال: والله! لكأني أنظر إلى جعفر بن أبي طالب حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها، ثم قاتل القوم حتى قتل، فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية، ثم تقدم بها وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه، وتردد بعض التردد ثم قال:

أقْسَمْتُ عليك يَا نفْسي لَتَنزلنّ ... طائعةً أو لتُكْرَهنّ

مَالي أَراكِ تَكْرهين الجنّة ... إنْ أَجْلَبَ النّاسُ وَشَدُّوا الرّنّة

لَطَالَمَا قَدْ كُنتِ مُطْمَئنّة ... هَلْ أَنتِ إلا نُطْفَةٌ فِي شنة

وقال عبد الله بن رواحة:

يا نفس إلاَّ تُقتلي تموتي ... هَذا حِمَامُ المَوْتِ قَدْ صَلِيْتِ

وَمَا تَمَنَّيتِ فَقَدْ لَقِيْتِ ... إن تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدِيْتِ

ثم نزل فلما نزل أتاه ابن عم له بعظم من لحم فقال: اشدد بهذا صُلْبَك فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما قد لقيت، فأخذه من يده فانتهش منه نهشة ثم سمع الحُطَمَة في ناحية النَّاسِ فقال: وأنتَ في الدُّنْيَا، ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفَه فقاتل حتى قتل رحمه الله ورضي عنه(١).

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نعى زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للنَّاسِ قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: «**أخذ الرَّاية زيدٌ فأصيب، ثم أخذ جعفرٌ فأصيب، ثم أخذ عبد الله بن رواحة فأصيب** - وعيناه تذرفان - **حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم**»(٢).

---

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات (٦/ ١٥٩-١٦٠)، الحطمة: صوت المعركة.

(٢) رواه البخاري (٧/ ٥٨٥) المغازي.

١١- مصعب بن عمير رضي الله عنه:

هذه الأسماء المضيئة الطاهرة الطيبة، التي استعملها الله - ﷻ - في الدعوة إلى دينه، وفتح البلاد وقلوب العباد لرسالة نبيه ﷺ، إنه أول سفير في الإسلام، إنه مبعوث النبي ﷺ إلى طيبة الطيبة وكان من أنعم شباب مكة، وهجر هذا النعيم وهاجر بأمر النبي الكريم ﷺ، وكان الذين يدخلون الإسلام ببركة دعوته أكثر ممن يدخله في مكة قبل هجرة النبي ﷺ، وما مضى عليه عام حتى دخل الإسلام كل بيت في المدينة إما آمن كله أو بعضه، عن عمر بن الخطاب قال:

نظر النبي ﷺ إلى مصعب بن عمير مُقبلًا وعليه إهاب كبش قد تنطق به، فقال النبي ﷺ: «**انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نوّر الله قلبه، لقد رأيته بين أبوين يغدوانه بأطيب الطعام والشراب، فدعاه حبُّ الله ورسوله إلى ما ترون**»(١).

والمواقف الإيمانية العظيمة يوفق لها العظماء.

عَلَى قَدرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأتِي العَزَائِمُ وَتَأتِي عَلَى قَدْرِ الكِرَامِ المَكَارِمُ

عن محمد بن شرحبيل قال: حمل مصعب اللواء يوم أحدٍ، فلما جال المسلمون ثبت به مصعب فأقبل ابن قمئة فضرب يده اليمنى فقطعها، ومصعب يقول: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وأخذ اللواء بيده اليسرى، وحنى عليه فضربها فقطعها، فحنا على اللواء وضَمَّهُ بعضديه إلى صدره وهو يقول: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه رضي الله عنه(٢).

فكان مصعب رضي الله عنه من السابقين من المهاجرين، وهاجر الهجرتين إلى الحبشة، ثم اختاره رسول الله ﷺ يفتح المدينة بالإسلام، ويُعلِّمُ أهلها القرآن، وختم له بالشهادة والسعادة، ولم يطل عمره حتى يقطف ثمرة جهاده وصبره.

---

(١) رواه الترمذي [٢٤٧٨] وقال: حديث حسن.

(٢) «صفة الصفوة» (١/ ٣٩٢).

عن خباب قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله ﷻ، فمِنَّا من مضى ولم يأكل من أجره شيئًا، منهم مصعب بن عمير قتل يوم أُحد، فلم نجد له شيئًا نكفنه فيه إلا نَمِرة، كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطينا رجليه خرج رأسه، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطي بها رأسه ونجعل على رجليه إذخرًا، ومنَّا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها[١].

١٢- طلحة بن عبيد الله التيمي رضي الله عنه يوم أحد:

عن جابر قال: لما كان يوم أحد وولى الناس كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلًا منهم طلحة، فأدركه المشركون، فقال النبي ﷺ: «**من للقوم؟**» قال طلحة: أنا، قال: «**كما أنت**»فقال رجل: أنا قال: «**أنت**»فقاتل حتى قتل: ثم التفت فإذا المشركون فقال: «**من لهم؟**» قال طلحة: أنا؟ قال: «**كما أنت**» فقال رجل من الأنصار: أنا، قال: «**أنت**» فقاتل حتى قتل فلم يزل كذلك حتى بقي مع نبي الله طلحة، فقال: «من للقوم؟» قال طلحة: أنا، فقاتل طلحة قتال الأحد عشر، حتى قطعت أصابعه فقال: «حَسّ» فقال: رسول الله ﷺ: «**لو قُلت: بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون**» ثم رد الله المشركين[٢].

وعن خالد بن قيس قال: رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ يوم أحد شلاء[٣]، وعن عائشة وأُمّ إسحاق بنتي طلحة قالتا: جرح أبونا يوم أحدٍ أربعًا وعشرين جراحة، ووقع منها في رأسه شجة مربّعة، وقطع نساه - يعني العرق - وشُلَّت إصبعه، وكان سائر الجراح في جسده، وغلبه الغَشيّ وطلحة محتمله يرجع به القهقرى، كلما أدركه أحدٌ من المشركين قاتل دونه، حتى أسنده إلى الشِّعْبِ[٤].

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١٧٠) الجنائز، ومسلم [٩٤٠] الجنائز، واللفظ له.

(٢) رواه الحاكم مختصرًا (٣/ ٣٦٩) معرفة الصحابة، وله طرق، قال الألباني في «الصحيحة» رقم [٢١٧١] فالحديث حسن بمجموع هذه الطرق.

(٣) رواه البخاري (٧/ ١٠٣) فضائل الصحابة.

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٢).

وقال ﷺ يوم أحد: «**أوجب طلحة**»[1].

وقال ﷺ: «**طلحة ممن قضى نحبه**»[2].

وطلحة يوم الشِّعْبِ واسى مُحَمَّدًا ... لدى ساعة ضاقتْ عليه وسُدَّتِ

وقاه بِكَفيهِ الرِّماحَ فقُطِّعَتْ ... أصابِعُهُ تَحْتَ الرِّماح فَشُلَّتِ

فهذا موقف من مواقف الإيمان في البذل والتضحية لإعلاء راية الملك العلام، والدفاع عن النبي عليه الصلاة والسلام، وطلحة هو طلحة، أحد أعمدة الإسلام العِظام، وأحد العشرة المبشرين، والستة الذين أشار لهم أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، وكان الصديق رضي الله عنه إذا ذكر يوم أحد قال: ذلك اليوم كله لطلحة.

فرضي الله عن الصحابة أجمعين، وجمعنا الله بهم في عليين، والحمد لله رب العالمين.

١٣- الزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ:

وله مواقف إيمانية كثيرة عظيمة يوم بدر، ويوم أحد، والخندق، وحنين، واليمامة، واليرموك، وفتح مصر.

قال عامر بن صالح بن عبد الله بن الزبير:

جَدّي ابن عَمَّةِ أحمدٍ ووَزِيره ... عِندَ البَلاءِ وفَارِسِ الشَّقْرَاءِ

وَغَداةَ بَدْرٍ كانَ أوّلَ فارسٍ ... شَهِدَ الوَغَى في اللأْمَةِ الصَّفْرَاءِ

نَزَلَتْ بِسيمَاهُ المَلائكُ نُصْرَةً ... بالحوْضِ يومَ تألبِ الأعْداءِ

وعن عروة قال: كان في الزبير ثلاث ضربات بالسيف: إحداهن في عاتقه، إن كنت لأدخل أَصَابعي فيها، ضرب ثنتين يوم بدر، وواحدة يوم اليرموك[3].

(١) رواه الترمذي [٣٧٣٨] المناقب وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) رواه الترمذي [٣٧٤٠] المناقب وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث معاوية إلا من هذا الوجه.

(٣) رواه البخاري (٧/ ١٠٠) فضائل الصحابة.

وعن الزبير قال: لقيت يوم بدر عبيدة بن سعد بن العاص وهو مُدجج لا يرى إلا عيناه، وكان يكنى أبا ذات كرشٍ، فحملت عليه بالعنزة فطعنته في عينه فمات، قال الزبير: لقد وضعت رجلي عليه، فكان الجهد أن نزعتها - يعني الحربة - فلقد انثنى طرفها[١].

وقتل الزبير يوم بدر عَمَّهُ نوفل بن خويلد بن أسد، وكذا عبيدة بن سعيد بن العاص.

وقال الزبير رضي الله عنه: جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه مرتين في أحدٍ وفي قريظة[٢].

وأرسله عمر رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص لما أبطأ الفتح وقال: إني أمددتك بأربعة آلاف على كل ألف منهم رجل مقام ألف، وكان على رأسهم الزبير بن العوام، وأبطأ الفتح على عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال الزبير: إني أهب نفسي لله وأرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين، فوضع سلمًا وأسنده إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمَّام، ثم صعد، وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعًا، فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبر ومعه السيف، فتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو خوفًا من أن ينكسر، فَلَما رأى الروم أن العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا، وبذلك فتح حصن بابليون أبوابه للمسلمين، فانتهت بفتحه المعركة الحاسمة لفتح مصر، وكانت شجاعة الزبير النادرة السبب المباشر لانتصار المسلمين على المقوقس[٣].

فبهذه المواقف الإيمانية تفتح الحصون، وتسقط القلاع، ويتنزل نصر الله - عز وجل - على المؤمنين، وتقر أعينهم بالفتح المبين، فأين للمسلمين اليوم بمثل هؤلاء الفرسان الشجعان، ولا تعجب، فالصحابة رضي الله عنهم أعمالهم كلها عجيبة، وهي تدل على صدق إيمانهم وشجاعتهم، قال حسان بن ثابت رضي الله عنه مادحًا ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام رضي الله عنه.

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٣٦٥) المغازي.

(٢) «أسد الغابة» (٢/ ٢٥٠).

(٣) «قادة فتح الشام ومصر» صـ (٢٠٧-٢٢٧) نقلًا عن «صلاح الأمة في علو الهمة» للسيد حسين العفاني (٣/ ٣٢٣) ط. مؤسسة الرسالة.

أَقَــام عـلـى عَـهْـدِ الـنَّـبِيِّ وهَـدْيِـهِ ... حَـوَارِيُّـه وَالـقَـولُ بـالـفِعـلِ يُـعْـدَلُ
أَقَــامَ عَـلَـى مِـنْـهَـاجِـهِ وَطَـرِيـقِـه ... يُـوَالـي وَلِـيَّ الحَـقِّ وَالحـقُّ أَعْـدلُ
هـوَ الـفَـارِسُ المَشْـهُـورُ وَالـبَـطَـلُ الَّـذي ... يَـصُـولُ إِذَا مَـا كَـانَ يَـوْمٌ مُحَـجَّـلُ
إِذَا كَـشَـفَـتْ عَـنْ سَـاقِـهَـا الحَـرْبُ حشَّها ... بِـأَبْـيَـضَ سَـبَّـاقٍ إلى المـوت يُـرقِـلُ
وإنَّ امــرءًا كــانـت صـفـيَّـة أمّــهُ ... وَمِــنْ أسَــدٍ فِي بَـيْـتِـهـا لمـرَفّـل
لَـهُ مِـنْ رسـولِ الله قُـرْبَـى قَـرِيْـبَـة ... وَمِـنْ نُـصـرَةِ الإِسْـلام مَجْـدٌ مُـؤَثَّـلُ
فـكَـمْ كُـرْبَـةً ذَبَّ الـزبـيـرُ بِـسَـيْـفِـهِ ... عَـنِ المُـصْـطَـفَـى وَاللهُ يُـعْـطِـي فَيُجزِلُ
ثَـنَـاؤكَ خَـيْـرٌ مِـن فِـعَـالِ مَـعَـاشِـرٍ ... وفـعـلـك يَـا ابْـنَ الهَـاشِمِـيَّـةِ أفْـضَـلُ

١٤- البراء بن مالك رضي الله عنه يوم اليمامة وحديقة الموت:

عن أنس مرفوعًا قال: «**كم من ضعيف متضعف ذي طمرين لو أقسم على الله لأبَرّهُ**».

ولقي البراء زحفًا فقالوا: يا براء أقسم على ربك، فقال: أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم، ولقي زحفًا آخر فقالوا: يا براء أقسم على ربك، فقال: أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم، وألحقني بنبيك، فمنحوا أكتافهم، وقتل البراء رضي الله عنه [1].

في يوم اليمامة أغلقت بنو حنيفة أنصار مسيلمة الكذاب الباب عليهم، وأحاط بهم الصحابة، فقال البراء بن مالك: يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة، فاحتملوه فوق الجحف ورفعوها بالرماح حتى ألقوه عليهم من فوق سورها، فلم يزل يقاتلهم دون بابها حتى فتحه، ودخل المسلمون الحديقة من حيطانها وأبوابها يقتلون من فيها من المرتدة من أهل اليمامة حتى خلصوا إلى مُسيلمة لعنه الله.

---

(١) رواه الحاكم (٣/ ٢٩٢) وصححه، ووافقه الذهبي والترمذي [٣٨٥٣] المناقب بمعناه مختصرًا وقال: حسن صحيح من هذا الوجه.

وقال الذهبي: بلغنا أن البراء يوم حرب مسيلمة الكذاب أمر الصحابة أن يحتملوه على ترس على أسنة رماحهم ويلقوه في الحديقة، فاقتحم إليهم وشد عليهم وقاتل حتى افتتح باب الحديقة، فجرح يومئذٍ بضعة وثمانين جرحًا، ولذلك قام خالد بن الوليد عليه شهرًا يداوي جراحه[١].

فلله هذه المواقف الإيمانية ما أعظمها بركة على الأمة وما أكثر عائدتها، وأعظم فائدتها، إنها مواقف الأبطال في ساحات القتال، إنها مواقف رجال باعوا نفوسهم للكبير المتعال، فما تلكأوا في تسليم المبيع، ولا تعللوا بالأباطيل، فلله درُّهم، وعلى الله أجرهم.

١٥- أعرابي أتى النبي ﷺ فآمن به واتبعه:

عن شداد بن الهاد رضي الله عنه أن رجلًا من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبي ﷺ سبيًا فَقَسَّم، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قِسْمٌ قسمه لك النبي ﷺ.

فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال: ما هذا؟ قال: «**قسمته لك**» قال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمى هاهنا - وأشار إلى حَلقِهِ - بسهم فأموت فأدخل الجنة، فقال: «**إن تَصْدُقِ الله يصدقك**».

فلبثوا قليلًا ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به النبي ﷺ يُحْمَلُ قد أصاب السهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: «**أهو هو؟**» قالوا: نعم، قال: «**صدق الله فصدقه**».

ثم كفّنه النبي ﷺ في جبة النبي ﷺ، ثم قدمه فَصَلَّى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: «**اللهم هذا عبدك، خرج مهاجرًا، فقُتِل شهيدًا، أنا شهيدٌ على ذلك**»[٢].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/ ١٩٦).

(٢) رواه النسائي [١٩٥٢]، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي».

المواقف الإيمانية مواقف يثبت فيها صدق الإيمان، والإيمان الصادق هو الذي يدفع المؤمن إلى البذل والتضحية، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، أما من يدعي الإيمان ويبخل عن البذل في سبيل الله، ويجبن عن الجهاد لإعلاء كلمة الله فهيهات هيهات أين الصدق؟! وإنما يكون عمل الجوارح تصديقًا لما في القلب، فلما كانت قلوب المنافقين خالية من الإيمان كافرة بالرحمن ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ [التوبة: ٨١].

ووصف الله - ﷻ - عبادتهم فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، فنسأل الله - ﷻ - إيمانًا صادقًا، وشهادة في سبيله مقبلين غير مدبرين.

١٦- عبد الرحمن بن ثعلبة (أبو عقيل) رضي الله عنه:

عن جعفر بن عبد الله بن أسلم قال: لما كان يوم اليمامة واصطف الناس كان أول من جرح أبو عقيل، رُمِي بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده في غير مقتل، فأخرج السهم ووهن له شقه الأيسر في أول النهار، وجُرَّ إلى الرَّحْلِ فلما حمي القتال وانهزم المسلمون وجاوزوا رحالهم - وأبو عقيل واهِنٌ من جرحه - سمع معن بن عدي يصيح: ياللأنصار الله الله، والكرة على عدوكم، قال عبد الله بن عمر: فنهض أبو عقيل يريد قومه، فقلت: ما تريد؟ ما فيك قتال، قال: قد نوّه المنادي باسمي.

قال ابن عمر: قلت له: إنما يقول: ياللأنصار! ولا يعني الجرحى، قال أبو عقيل: أنا من الأنصار، وأنا أجيبُه ولو حبوًا.

قال ابن عمر: فتحزم أبو عقيل، وأخذ السيف بيده اليمنى، ثم جعل ينادي: ياللأنصار! كرةً كيوم حنين، فاجتمعوا رحمكم الله جميعًا، تقدموا فالمسلمون رديئة دون عدوهم، حتى أقحموا عدوهم الحديقة، فاختلطوا، واختلفت السيوف بيننا وبينهم.

قال ابن عمر: فنظرت إلى أبي عقيل، وقد قطعت يده المجروحة من المنكب، فوقعت إلى الأرض، وبه من الجراح أربعة عشر جرحًا كلها قد خلصت إلى مقتل، وقُتِل عدو الله مُسيلمة.

قال ابن عمر: فوقفت على أبي عقيل وهو صريع بآخر رمق فقلت: يا أبا عقيل، قال: لبيك - بلسان ملتاث - لمن الدَّبرة؟ قلت: أَبشِر قد قتل عدو الله، فرفع إصبعه إلى السماء، ومات يرحمه الله.

قال ابن عمر: فأخبرت عمر بعد أن قدمت خبره كله، فقال: رحمه الله ما زال يسعى للشهادة ويطلبها، وإن كان ما علمت من خيار أصحاب نبينا ﷺ، وقديم إسلامهم رضي الله عنهم[1].

فرحم الله أبا عقيل، ولا نامت أعين الجبناء.

مَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيفِ مَاتَ بِغَيْرِه ... تَعَدَدَتِ الأَسْبَابُ والموتُ وَاحِدُ

١٧- حنظلة بن أبي عامر الراهب رضي الله عنه:

تزوج حنظلة رضي الله عنه جميلة بنت عبد الله بن أُبي بن سلول فأدخلت في الليلة التي في صبيحتها كان قتال أحد، وكان قد استأذن رسول الله ﷺ أن يبيت عندها فأذن له، فلما صلى الصبح غدا يريد رسول الله ﷺ بأُحُد، ثم مالَ إلى جميلة فأجنب منها، وكانت قد أرسلت إلى أربعة من قومها فأشهدتهم أنه دخل بها، فقيل لها في ذلك فقالت: رأيت كأن السماء قد فرجت له فدخل فيها، ثم أطبقت، فقلت: هذه الشهادة، وعلقت بعبد الله بن حنظلة.

وأخذ حنظلة سلاحه فلحق بالنبي ﷺ وهو يسوي الصفوف، فلما انكشف المسلمون اعترض حنظلة لأبي سفيان فضرب عرقوب فرسه، فوقع أبو سفيان

---

(١) «صفة الصفوة» (١/ ٤٦٦، ٤٦٧).

فحمل رجل منهم على حنظلة فأنفذه بالرمح، فقال رسول الله ﷺ: «**إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن أبي عامر بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفِضةِ**»(١).

فلله دَرُّ حنظلة الذي يترك عروسه في صبيحة زفافه، ويدفعه صدق الإيمان إلى أن يبادر بالخروج إلى النبي ﷺ، ولا يمهل حتى يغتسل من جنابته؛ حتى لا يتأخر عن رسول الله ﷺ، فيسوق الله - ﷻ - له السعادة والشهادة، ويرزقه الحسنى وزيادة، ورضي الله عن الصحابة الكرام الذين لهم السبق في كل ميدان.

١٨- عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه:

كان ملك الروم يسمع عن شجاعة الصحابة رضي الله عنهم وصبرهم وجهادهم بما يشبه الأساطير، فوقع عبد الله بن حذافة السهمي أسيرًا فذهبوا به إلى ملكهم، فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد ﷺ فأراد أن يختبره فقال: هل لك أن تنتصر وأعطيك نصف ملكي؟ قال: ولو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملك العرب ما رجعت عن دين محمدٍ ﷺ طرفة عين، قال: إذًا أقتلك، قال: أنت وذاك، فأمر به فصلب، وقال للرماة: ارموه قريبًا من بدنه، وهو يعرض عليه ويأبى، فأنزله ودعا بقدر فَصُب فيه ماء حتى احترقت، ودعا بأسيرين من المسلمين فأمر بأحدهما فأُلقي فيها وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبى، ثم بكى، فقيل للملك: إنه بكى، فظن أنه قد جزع فقال: ردوه، ما أبكاك؟ قال: قلت: هي نفس واحدةٌ تلقى الساعة فتذهب، فكنت أشتهي أن يكون بعدد شعري أنفس تُلقى في النار في الله، فقال له الطاغية: هل لك أن تُقَبِّل رأسي وأخلي عنك، فقال له عبد الله: وعن جميع الأسارى؟ قال: نعم، فقبل رأسه، وَقدِم بالأسارى على عمر، فأخبره خبره، فقال عمر: حق على كل مسلم أن يقبل رأس ابن حذافة، وأنا أبدأ، فقبل رأسه(٢).

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٠٤) معرفة الصحابة مختصرًا.

(٢) «أسد الغابة» بتصرف (٣/ ٢١٢، ٢١٣).

المواقف الإيمانية لا يقتصر برها ونفعها على أصحابها وحدهم، بل تعم بركتها على مَنْ شاء الله من المؤمنين، فتنزل بها الرحمات، وتنفرج بها الكربات؛ لأنها مواقف يحبها الله - ﷻ - ويحب أصحابها، والمؤمن مبارك أينما كان.

١٩- سعيد بن عمرو بن زيد بن نفيل ويوم اليرموك:

قال سعيد بن عمرو بن نفيل: لما كان يوم اليرموك كُنّا أربعًا وعشرين ألفًا أو نحوًا من ذلك، فخرجت لنا الروم بعشرين ومائة ألف، وأقبلوا علينا بخطىً ثقيلةٍ كأنهم الجبال تحركها أَيْدٍ خفية، وسار أمامهم الأساقفة والبطارقة والقسيسون يحملون الصلبان، وهم يجهرون بالصلوات فيرددها الجيش من ورائهم، ولهم هزيم كهزيم الرعد، فلما رآهم المسلمون على حالهم هذه هالتهم كثرتهم، وخالط قلوبهم شيءٌ من خوفهم، عند ذلك قام أبو عبيدة بن الجراح يحضُّ المسلمين على القتال فقال: عباد الله، انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، عباد الله اصبروا فإن الصبر منجاةٌ من الكفر، ومرضاة للرب، ومدحضةٌ للعَار، وأشرعوا الرماح، واستتروا بالتروس والزموا الصمت إلا من ذكر الله - ﷻ - في أنفسكم، حتى آمركم إن شاء الله.

قال سعيد: عند ذلك خرج رجلٌ من صفوف المسلمين، وقال لأبي عبيدة: إني أزمعت على أن أقضي أمري الساعة، فهل لك من رسالة تبعث بها إلى رسول الله ﷺ ؟ فقال أبو عبيدة: نعم تقرئه مني ومن المسلمين السلام، وتقول له: يا رسول الله! إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا.

قال سعيد: فما إن سَمِعت كلامه ورأيته يمتشق حسامه ويمضي إلى لقاء أعداء الله حتى اقتحمت إلى الأرض، وطعنت أول فارس أقبل علينا، ثم وثبت على العدو، وقد انتزع الله كل ما في قلبي من الخوف، فثار الناس في وجوه الروم، وما زالوا يقاتلونهم حتى كتب الله للمؤمنين النصر[1].

---

(١) «صور من حياة الصحابة» (١/ ١٥٥-١٥٨) وقوله: «أزمعت أن أقضي أمري الساعة» أي: أموت في هذه الساعة، وقول سعيد رضي الله عنه: «اقتحمت إلى الأرض» أي: رميت نفسي بشدة على الأرض.

المواقف الإيمانية يثمر بعضها بعضًا، حتى يعظم أمرها ويكثر نفعها، ويستحق المؤمنون نصر الله الذي وعده لعباده المؤمنين: كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧]، فإذا وفق بعض المؤمنين لمثل هذه المواقف الإيمانية، وبذل الناس في الله - ﷻ - عند ذلك يتنزل نصر الله ﷻ، فلما رأى سعيد بن زيد رضي الله عنه هذا الموقف الإيماني من رجل من صفوف المسلمين، تابعه بموقف إيماني، وذهب ما في قلبه من الخوف، ثم لما رأى المسلمون موقف سعيد رضي الله عنه ثاروا في وجوه الروم، وما زالوا يقاتلونهم حتى كتب الله للمؤمنين النصر.

٢٠- عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه والمبايعة على الموت يوم اليرموك:

لما كان يوم اليرموك تقدم خالد إلى عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو أن ينشئا القتال فبدرا يرتجزان ودعوا إلى البراز وتنازل الأبطال، وتجاولوا وحميت الحرب وقامت على ساقٍ، فنادى عكرمة: قاتلت رسول الله ﷺ في كل موطن، وأفر منكم اليوم؟ من يبايع على الموت؟ فبايعه أربعمائة من وجوه الناس وفرسانهم، فبايعه عمه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور فاستبسلوا وقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعًا جراحًا وأتي خالد بعكرمة جريحًا فوضع رأسه على فخذه، وبعمرو بن عكرمة، فوضع رأسه على ساقه، وجعل يمسح عن وجهيهما ويقطر الماء في حلقيهما[١].

وقال أبو إسحاق السبيعي: نزل عكرمة يوم اليرموك فقاتل قتالًا شديدًا ثم استشهد، فوجدوا به بضعًا وسبعين من طعنة ورميةٍ وضربةٍ[٢].

٢١- عبد الله بن الزبير وفتح إفريقية:

كان عدد المسلمين عشرين ألفًا، وعدد الكفار عشرين ومائة ألف في فتح إفريقية، وكان قائد المسلمين عبد الله بن أبي سرح، في خلافة عثمان رضي الله عنه، ورأى عبد الله بن

---

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ٤٠١) ط. دار المعارف.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٢٤).

الزبير جرجير ملك إفريقية وراء عسكره على برذون أشهب، ومعه جاريتان تظلانه بريش الطواويس، وبينه وبين عسكره أرض بيضاء، فاختار ثلاثين فارسًا من المسلمين وأخذهم معه، ثم حمل في الوجه الذي فيه جرجير، وقال للفرسان الذين معه: احموا ظهري، فخرق الصف إلى جرجير، وخرج صامدًا له، وما يظنّ هو وأصحابه إلا أن ابن الزبير رسولٌ إليه، حتى دنا منه، فعرف الشر، فثنى برذونه موليًّا، ولكن ابن الزبير أدركه فطعنه ودافّه بالسيف، وحزّ رأسه، ونصبه في رمح وكبّر، فحمل المسلمون من الوجه الآخر فانهزم العدو من كل وجه، ومنح الله المسلمين أكتافهم[1].

فهذا موقف إيماني من الفارس عبد الله بن الزبير، وكما يقولون: هذا الشبل من ذاك الأسد، فقد أخذ هذه الشجاعة النادرة، وهذا الإيمان والثبات ورباطة الجأش من أبيه الزبير رضي الله عنه، وقد مضى شيءٌ من مواقفه الإيمانية، وما أكثر المواقف الإيمانية، وما أكثر الأبطال في تاريخ الإسلام، فهذا غيضٌ من فيض، وقطرة من بحر لجي، تنبئك بشرف هذه الأمة وكرامتها، وتبرهن لك على شرف الإيمان والمواقف الإيمانية، والله - عز وجل - يوفقنا وإخواننا المسلمين لما يحب ويرضى، وينعم علينا وعلى أمة الإسلام بالنصر والتمكين، والله ولي المؤمنين.

٢٢- يوسف طلعت رحمه الله:

إنه من رجال الإسماعيلية، اشتغل بالتجارة في بداية الأمر، واعتقل مع الإخوان المسلمين أوَّل مرةٍ عام ١٩٣٦م، وشارك رحمه الله في الجهاد في فلسطين، وجمع السلاح لمحاربة الإنجليز، وكان في كل مسجد يؤدي فيه الصلاة، ينادي على الجماهير فتجتمع إليه، فيشرح لهم الجهاد، ويحثهم على سرعة حمل السلاح.

لم يهدأ لرجال المخابرات البريطانية بال؛ حيث تتبعت المجاهد تجمع عنه المعلومات، وتضيق عليه الطرقات، يرصدون حركاته، ويحاولون اغتياله، ولكنه كثيرًا ما نجح في خداعهم، وكان النَّصرُ حليفه.

---

(١) «تهذيب ابن عساكر» (٧/ ٤٠١-٤٠٢) نقلًا عن «صلاح الأمة في علو الهمة».

وبعد حادث المنشية اعتقل يوسف طلعت رَحِمَهُ اللَّهُ مع من اعتقل وذاق ألوان العذاب، وفنون الإيذاء، فأصيب بكسر في عموده الفقري، وكُسِر ذراعه، وشُوِّه جسمه، وضوعف عليه التعذيب حتى كسرت جمجمته.

وقُدِّمَ البطل للمحاكمة وحكم عليه - ظلمًا وعدوانًا - بالإعدام، وقبل تنفيذ الحكم بلحظات قال البطل وهو مستبشر راضٍ: اليوم أقابل ربي وهو عني راضٍ، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون... اللهم سامحني وسامح من ظلمني، فرحم الله شهداء الإخوان وغفر لنا ولهم[1].

٢٣- أبو عاصم العراقي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول الدكتور عبد الله عزام: قال لي من سكن معه: كُنّا أحيانًا نتحدث بأمور الدنيا وهو صامت، ينسل من بيننا دون أن نشعر، فنتفقده وإذا به اعتزل في غرفة أخرى يقرأ القرآن، وكان يحب صيام الاثنين والخميس، ويقوم الليل، شغفت نفسه بطلب العلم وحفظ القرآن، ولم يبق منه إلا جزآن عندما قابلته لأول مرة في بيشاور، ولكنه أتم حفظ القرآن في بنجشير، وكانت المقابلة قبل عام ونصف، رأيت على وجهه إشراقة، أشقر الشعر، باسم الثغر، رزين الصمت، وإذا تكلم تكلَّم بقدر.

قال لي: أريد أن أواصل تعلم القراءات، فقلت له: تكفيك الآن رواية حفص إذ أنه حَلّ بالمسلمين ما يشغلهم حتى عن أولادهم وأنفسهم، الآن جاء دور الجهاد. اهـ.

وصلت إلى البطل رسالة يطلبون منه العودة إلى العراق، ولكنه يرفض بإصرار، وبعدها بأيام تأتي مكالمة هاتفية لأبي عاصم؛ إنها خطيبته تطلب منه العودة وتقول له: لن أتزوج ما دمت حيًا، فرد عليها قائلًا: تزوجي غيري، فلا عودة إليكم، هنا الحياة، وهنا الممات.

---

(١) «شهداء الدعوة الإسلامية في القرن العشرين» باختصار (١١١-١١٢) لمحمد الصايم، ط. دار الفضيلة.

هنيئًا لمن جاهد نفسه في الله ﷻ، فتهذبت نفسه، واتصلت بخالقها، والتمست طريق الشهادة والسعادة، وتطلعت إلى الموت في سبيل الله؛ لأنه الخلود الحقيقي في جنة الله ﷻ.

وأتى شهر الجهاد رمضان سنة ١٤٠٦ هـ، وبدأت معركة (أندراب بغلاذن)، واستأذن أبو عاصم ليشارك في المعركة، واختار لنفسه أكبر المهام وأصعبها، وهو تفجير القلعة التي يتحصن فيها الأعداء.

واشترك في هذه المعركة ما يربو على مائة وعشرين من المجاهدين، وكتب أمام اسم الداعية المجاهد «أبو عاصم» كلمة شهيد وقال الكاتب: إن لَدَيَّ إحساسًا بأنه سينال في هذه المعركة الشهادة، وأن الله سيحقق أمنيته.

أفطر المجاهدون استعدادًا للمعركة، إلا البطل أبو عاصم، رفض وصمم أن يجاهد صائمًا.

ووصل الجنود إلى القلعة، يتقدمهم البطل «محمد عثمان - أبو عاصم العراقي» وفي سرعة خاطفة وضع الألغام تحت باب القلعة، ورجع كالأسد الجسور، وقبل رجوعه إلى مكانه بين صفوف زُمَلائه فتحت عليهم من تجاه العدو الرشاشات، في نفس الوقت الذي تفجرت القلعة بالأعداء الذين دَبَّ في قلوبهم الرعب، ومات منهم كثير من الجنود.

حتى إذا انكشف غبار القتال كان البطل الصائم قد استشهد ومعه زميل له هو البطل «شاه قلندر»، ومضى أبو عاصم إلى ربه، ونرجو أن يكون ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩][1].

(١) بتصرف واختصار من «شهداء الدعوة الإسلامية في القرن العشرين» (١٩٥-٢٠١).